

ثانيًا: الانضمام -  
الدخول إلى عالم  
طفلك

www.ijadali.com

obeikandi.com

اتفقنا...

إذن من أين نبدأ...؟

حسنًا، إذا كنت تقرأ هذا الكتاب، فسوف أمضي قدمًا مفترضًا:

1. أن لديك طفلًا على طيف التوحّد.

2. أنك تحب طفلك.

3. أنك ترغب في مساعدة طفلك.

أعلم أن هذا واضح تمامًا، لكن ما هو أقل وضوحًا هو حجم القوة التي تمتلكها للتأثير في نمو طفلك وتطوره.

سيعطيك هذا الكتاب بعض الطرق والتقنيات البسيطة جدًا والواضحة التي يمكنك استخدامها لمساعدة طفلك على التقدم. في بعض الحالات قد تبدو هذه الإستراتيجيات على النقيض تمامًا مما قيل لك أن تقوم به، وهذا ليس مصادفة؛ فبعضها بالفعل مناقض تمامًا.

هذا جيد، ولا شيء في ذلك يدفعك للقلق، والحقيقة خلاف ذلك تمامًا؛ ولعل هذه أفضل أنباء قد سمعتها منذ مدة ليست قصيرة، لماذا؟ لأنه إذا كان ما تقوم به ينجح مع طفلك فلن تقرأ هذا الكتاب، أليس كذلك؟ وإذا كان هذا الكتاب سيكرر ما قد سمعته أو فكرت فيه، فلن يكون مفيدًا لك.

ومعنى ذلك أن أول مطلب في عملنا هو الإقرار التام بما يأتي: إن المسار الذي كنت تتبعه إلى الآن لم يوصل طفلك إلى حيث تريده أن يكون.

لنقم إذن بارتداد مسار آخر جديد.

## ما التوحد، حقاً...؟

معظم ما يقال للأهل عن التوحد ليس دقيقاً أو مفيداً مع الأسف، وبالتأكيد فإن من قام بتشخيص طفلك قد أخبرك عن أعراض التوحد، وكيف أن سلوكيات طفلك تطابق هذه الأعراض، لكنني لا أتحدث عن الأعراض، أنا أتحدث عن الجانب المركزي لما هو التوحد.

أولاً: لنتحدث عما هو ليس توحدًا، إنه ليس اضطراباً سلوكياً، وهذا مهم؛ لأنه في 99 في المئة من الحالات يُعالج التوحد بوصفه كذلك، وتميل الطرق المستخدمة مع أطفالنا إلى التركيز على تغيير السلوك؛ فالمعالجون يسألون: كيف يمكننا أن نقضي على هذا السلوك، وندرب الطفل على ذلك السلوك؟

المشكلة هي أن التوحد ليس اضطراباً سلوكياً؛ بل هو اضطراب اجتماعي-تواصل، هل يسلك أطفالنا بشكل مختلف؟ بالتأكيد. لكن هذه السلوكيات أعراض وليست أسباباً، إذا رأيت شخصاً يحك ذراعه، ووضعت لنفسك هدف إزالة سلوك الحك لديه فهناك عدد من الطرق التي قد تجربها؛ قد تقول له توقف عن الحك، وقد تُهدده بعواقب لا تُحمد عقباها إذا استمر في الحك؛ وقد تُشتت انتباهه بوضع شيء يرغبه (كالمثلجات مثلاً) في اليد التي يستخدمها للحك، أو قد تربط ذراعه إلى جسمه، فلا يستطيع الحك.

أو قد تبحث فعلاً عن السبب الذي جعله يحك، وتكتشف أن بعوضة قد عضته؛ وعندها قد تقوم بوضع مرهم مضاد للحك على مكان العض. مرحى! لا مزيد من الحك! وبدلاً من عدم مواجهة القضية الحقيقية وجعل الشخص عدوانياً تكون قد حَلَلت سبب الحك- وصار الشخص مهمتاً لك!

تبين هذه المقارنة الاختلاف بين محاولة إزالة أعراض طفلك والتصدي للمشكلة الجوهرية أو المحورية لديه؛ فكل سلوك توحدٍ يبديه طفلك عَرَضٌ، ومحاولة القضاء

على هذه السلوكيات لا يعالج التوحد فعلياً، بل يؤدي إلى تمزيق الثقة والعلاقة بينك وبين طفلك.

وهذه الثقة والعلاقة هي أهم مدخراتك في مساعدة طفلك على التقدم!

لماذا؟ لأن التوحد اضطراب اجتماعي-تواصل.

ما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟ حسناً، إن التحدي الأساسي الذي يواجه طفلك هو الصعوبة في الترابط وتشكيل علاقات مع الآخرين. (وأنا أقول: طفل بغض النظر عن عمر طفلك، فهو أو هي طفلك، حتى لو كان بالغاً)؛ ولذلك أسباب قليلة مختلفة سنأتي عليها لاحقاً، ولكن ما ينبغي أن تعرفه الآن هو: معظم المشكلات الأخرى التي يواجهها طفلك تنبثق من هذا التحدي.

هذا هو السبب، إذا أخذت طفلاً غير ناطق في الخامسة من عمره، ويصنف أنه ذو توحد شديد، وغالباً في السادسة عشرة لديه متلازمة أسبرجر، فلن تجد سلوكاً واحداً مشتركاً بينهما؛ فهذان الشخصان سيسلكان بطريقة جد مختلفة، ومع ذلك فهما يقعان على طيف التوحد، فما الذي يجمع بينهما إذن؟

كلاهما يعاني صعوبة في التواصل، وإجراء اتصال بصري، وقراءة الإشارات والحركات غير اللفظية، والتعامل مع الناس والمواقف الاجتماعية، وقبول مستويات عالية من التنبيه الحسي، والمرونة إزاء الظروف المتغيرة ورغبات الآخرين واهتماماتهم، فكلاهما لديه ميول واهتمامات قوية (يسمى بعضها هوساً) ينغمسان فيها وقتاً طويلاً، وغالباً ما يغفلان عن اهتمامات الآخرين.

أليس هذا مدهشاً؟ لا توجد سلوكيات مشتركة بينهما، ومع ذلك يوجد صف كامل من التحديات المشتركة بينهما؛ وعليه - وبغض النظر عن موقع طفلك على طيف التوحد - فإن لديه أو لديها النقائص نفسها، وهذا في الواقع أمر جيد؛ قد لا تراه أنت شيئاً جيداً في هذه اللحظة، وهذا مفهوم، ولكنه في الواقع كذلك؛ فهو يعني أنه بالتصدي لهذا الجانب الوحيد، فإنك تكون تقريباً قد عالجت معظم التحديات التي

يواجهها طفلك، ويعني أن كل شيء في هذا الكتاب مصمم لتمكينك من مساعدة طفلك على النمو والتعلم بالاندماج مع طفلك، وليس ضده، وجعلك أكثر ترابطاً مع طفلك بدلاً من الصراع معه.

وهذا يقودنا إلى الفكرة الأكثر أهمية التي قد تبدو متناقضة منطقيًا: التغلب على التوحد لا يدور حول تغيير سلوكيات طفلك. حقًا.

## انعكاس تام

أولاً: نريد أن نغيّر السؤال الذي نسأله لأنفسنا عندما نسعى لمساعدة طفلنا، فبدلاً من السؤال: «ما الذي عليّ أن أقوم به لتغيير سلوك الطفل؟» نريد أن نسأل: «ما الذي ينبغي لي عمله لخلق علاقة مع طفلي؟» وحالما نسأل هذا السؤال، يتغير كل شيء، ويتغير منهجنا بكامله.

عليك أن تبدأ بالتركيز على القيام بأفضل ما يمكنك لأن ترى من خلال عيني طفلك، أنا لا أطلب منك أن تكون محللاً نفسياً، أنا أتحدث عن التخيل في كل تفاعل تجريه مع طفلك كيف تُراه يشعر به. عندما تقوم بإيقاف طفلتك عن سلوكياتها النمطية، كيف ستشعر هي؟ وعندما تقوم بأخذ طفلك إلى متنزه صاحب، وتراه يغطي أذنيه، ماذا تعتقد أن الأمر بالنسبة إليه؟ وعندما تراه مستغرقاً في تمزيق ورقة إلى قطع صغيرة ما الذي تعتقد أن هذه التجربة تُمثلُ له؟ وعندما يتحدث طفلك دونما توقف عن طواحين الهواء ما الذي يحبه فيها إلى هذه الدرجة؟

نريد أن يكون التركيز في كل ما نقوم به مع أطفالنا من الآن فصاعداً على خدمة بناء ترابط وعلاقة معهم، وهذا يعني أنك تريد أن تجعل الطفل يرغب بشدة في أن يكون جزءاً من عالمنا؛ فأنت تريد أن يبدو التفاعل مع الآخرين غير مُهدد لطفلك، مرحاً، ومثيراً، وملبياً له. في الواقع أنت تريد أن تبيعه التفاعل الإنساني؛ وأعني بذلك

أن تبيعه حقاً. إذا ذهبت لطفلك وقلت له: «اسمع حبيبي، لدي أفضل صفقة لك! أن تكون جزءاً من عالمنا، وهي رائعة بالفعل. هل تعرف أفضل ما فيها؟ عندما تنضم إلينا في عالمنا سوف تتوقف عن عمل جميع الأمور التي تحبها، وسوف تبدأ بالقيام بجميع الأمور التي تكرهها! ألا يبدو لك هذا بديعاً؟» والآن لا يوجد طفل أو راشد على الأرض يقبل هذه الصفقة، ومع ذلك فهذه هي الصفقة التي نعرضها.

لقد حان الوقت للانعكاس التام؛ وبدلاً من التركيز على جعل طفلك يتوافق مع عالمك، فإنك تريد أن تصبح تلميذاً في عالم طفلك. دع الطفل يصبح أستاذك.

دون شك، لديك الكثير والكثير مما تريد تعليمه لطفلك.

ستساعدك الفصول القادمة في هذا الأمر بالذات، ولكن إذا ما أردت الوصول لحالة يهتم فيها طفلك بما تعرضه أنت والآخرون، عليك أن تبدأ أولاً ببناء الثقة وتشكيل ترابط بحسب معايير طفلك. عليك أن تبني جسراً لعالم طفلك أولاً؛ عندها فقط يمكنك أن تأخذ بيد ابنك فوق ذلك الجسر إلى عالمك، وهذا هو السبب في استرشاد برنامج صن-رايز بالمبدأ الآتي:

**الطفل يرينا طريق الدخول، ثم نريه نحن طريق الخروج.**

حسناً، كيف نقوم بذلك إذن؟

الجميع يحب النصف الثاني من الجملة أعلاه. نعم، أريد أن أبين لطفلي طريق الخروج! أريد أن يصبح ابني قادراً على النظر إليّ، وأن يتواصل، ويتعلم أشياء جديدة، ويصبح أكثر عادية!

ولكننا هنا بالضبط نقع في الخطأ الأساسي الأول، إذ لا يمكنك أن تتزحزح الأطفال الذين يقعون على طيف التوحد من عالمهم وتقلهم لعالمنا بهذه البساطة، لا يمكنك إجبارهم على التعلم أو النمو أو التغيير، ولا يمكنك بالتأكيد أن تجعلهم راغبين في التفاعل مع الناس الآخرين.

## الانضمام

إذن، إن أردنا أن نُري أطفالنا طريق الخروج علينا أن نركز على الجزء الأول من تلك الجملة؛ وهذا يعني أنه بدلاً من إجبار هؤلاء الأطفال على التوافق مع عالم لا يفهمونه، ينبغي أن نبدأ بالانضمام إليهم في عالمهم، وبهذه الطريقة نؤسس صلة متبادلة وارتباطاً، وهي المنصة التي نطلق منها لكل تعلم ونمو.

وهذا يقودنا إلى أول طريقة أساسية: الانضمام. فما المقصود به؟ حسناً، هل تعرف جميع تلك السلوكيات النمطية التي يريد الجميع من طفلك أن يتوقف عنها؟ لن نقوم بعدم إيقاف تلك السلوكيات فحسب؛ بل سنقوم بالانضمام للطفل ومشاركته فيها.

عندما يقوم طفلك بأداء حركاته أو حركاتها التكرارية التي تبدو توحدية عليك أن تقوم بها أيضاً. عندما يقوم طفلك بصف بعض المكعبات في صف طويل، ستقوم أنت أيضاً بالحصول على مكعباتك وتصفها. عندما يقوم طفلك بهز القلم مُصدراً صوت (إيبيبي)، ستقوم بالأمر نفسه. عندما يقوم طفلك بسلوك نمطي ستقوم أيضاً بالأمر نفسه معه. (نعم، الأطفال والبالغون ذوو متلازمة أسبرجر يقومون بسلوكيات نمطية؛ لكنهم يقومون بها بشكل مختلف، كما سنناقشه في الفصل 15).

غالباً ما أسمع شكوى من الأشخاص الذين لم يجربوا هذه الطريقة مفادها أن الانضمام سوف «يعزز السلوكيات التي نريد من الطفل أن يتوقف عنها». وهم يعتقدون أن الانضمام سوف يعلم الطفل أن سلوكياتها النمطية مناسبة، ما سيقود لمزيد من هذه السلوكيات كما يُفترض بحسب رأيهم.

ولكن حالما تتضمن لطفلك بالطريقة التي نقوم بها في برنامج صن-رايز (التي سنصل إليها عما قليل) سوف ترى مباشرة أن آخر شيء على الأرض يمكن أن يؤدي إليه ذلك هو المزيد من السلوكيات النمطية.

في المركز الأمريكي لعلاج التوحد انضمنا لأطفال وبالغين على مدى عقود— أطفال من بريطانيا ونيجيريا، ومن ألمانيا واليابان، ومن الأرجنتين وعبر أرجاء

الولايات المتحدة- أطفال في الثانية من العمر إلى بالعين بعمر اثنين وثلاثين عاماً، وأولاد وُصِفَتْ حالتهم بأنها شديدة إلى أطفال وُصِفَتْ حالتهم بأنها بسيطة، ولم نر أبداً أبداً أنها جعلت أحدهم أكثر توحداً، ولم نر أبداً أن ذلك قد أدى لمزيد من السلوكيات النمطية.

والحقيقة أننا رأينا عكس ذلك: فكلما ازداد انضمامنا للطفل قلت سلوكياته النمطية، ومرة تلو المرة عندما كنا ننضم لطفل، ثم نراقب كانوا ينظرون إلينا أكثر، وينتهبون لنا أكثر، ويبتسمون لنا أكثر، ويشاركوننا أكثر، وصاروا أقل اهتماماً بسلوكياتهم النمطية التي كانت تستحوذ عليهم سابقاً.

عندما كانت أمي تنضم إليّ قيل لها: إن ذلك عمل غير حكيم، وإنه سيؤدي لمزيد من السلوكيات النمطية. قيل لها أن تقول لا، وأن تأخذ الطبق مني، وأن تعيد توجيه سلوكي عندما أضع الطبق على الأرض لأديره على حافته ساعات من الزمن؛ وأنا ممتمن لها إلى الأبد أنها لم تستمع لقولهم، لقد أرادت أن تدخل إلى عالمي، أرادت بحماس أن تريني أنها تحبني وترتبط معي؛ ولذلك أحضرت طبقها، وأخذت تلفه معي؛ عندها بدأت بالنظر إليها، والابتسام لها، وأصبحت أكثر اهتماماً بها.

## مقارنة

لتبيان أن الانضمام يفعل فعله دعني أعطيك مقارنة؛ أريدك أن تتخيل أنك أمضيت أسبوعاً مضنياً من العمل، وأنت قد استنفدت طاقتك، (أنا واثق أن هذا ليس صعباً عليك)، وأخيراً حلت نهاية الأسبوع. هاها، أخيراً سيكون لديك يوم لنفسك- إجازة. (حسناً، هذا أكثر صعوبة بقليل، ولكن سايرني). وقد قالت لك زوجتك (أو أي شخص آخر) إنه سيعتني بالأطفال، وإنك تستطيع عمل ما تشاء.

ولذلك ها أنت قد ذهبتَ إلى متنزه محلي لطيف، وأخذتَ معك كتابك المفضل لمؤلفك المفضل لقراءته، وجلستَ على أحد المقاعد، وفتحتَ الكتاب، وابتدأتَ تقرأ، إنه يوم إجازة لطيف، وأنت تشعر براحة تامة، وإذا انغمستَ قليلاً في القراءة فإنك قد أزحتَ أخيراً عن كاهلك عناء أسبوع مضمّن، وابتدأتَ بالاسترخاء، وصرتَ مستغرقاً في الكتاب، مُبعداً جميع أحداث الأسبوع واللائحة الطويلة من الأمور التي عليك القيام بها عندما ستعود إلى البيت، أنت في قمة راحتك.

ثم أقترّبُ أنا منك قائلاً بصوت عالٍ: «مرحباً، ما الأخبار؟ كيف حالك؟ اسمع، كنت أراقبك تقرأ، وقد مضى على ذلك وقت طويل. أتدري؟ هذه ليست أفضل طريقة تقضي بها يومك، منعزلاً عن الناس ولا تقوم فعلياً بشيء. إليك الأمر: دعنا ننسى هذا الكتاب، ونذهب لمشاهدة فيلم، هناك عرض رائع في آخر الشارع، وأنا من سأدفع، ما قولك؟».

ها أنت تنظر إليّ منزعجاً قليلاً، وتقول لي: «إمامم، انظر، لقد قضيتُ أسبوعاً ثقيلاً، وحصلتُ أخيراً على يوم لنفسي، أريد فقط أن أبقى هنا وأن أقرأ، ولكن شكراً على العرض على أي حال».

أحملقُ فيك مصعوقاً بعض الشيء؛ فأنا أقدم لك عرضاً رائعاً، والأفلام مرحة؛ فلماذا لا تضع هذا الكتاب جانباً، وتأتي معي؟ لربما لم أجذب انتباهك بما يكفي بعد، ولذلك أقفُ أمامك تماماً حيث تجلس، وأثني ركبتي بحيث يصير وجهي في مستوى وجهك، وأدفع الكتاب جانباً بيدي من أمامك كي تراني.

وأقول: «مرحباً. هل يمكنك أن تنظر إليّ؟ هنا» وأفرقع بأصابعي في الاتجاه الذي تنظر فيه، ثم أعيدي يدي أمام وجهي. «مرحباً. أنا هنا. اسمع، الفيلم سيبدأ بعد خمس عشرة دقيقة. هيا، قف. دعنا نذهب. نحن ذاهبون إلى الأفلام».

الآن أصبحتَ منزعجاً مني جداً، ها أنت تقف وتواجهني، «مرحباً، انظر يا صديقي. تراجع. لقد مررتُ بأسبوع حافل، وما أريده فقط هو أن أقرأ هذا الكتاب بسلام، وإذا

ما أردتُ أن أستغل يومَ إجازتي في مشاهدة فيلم، فهو على الأرجح ما سوف أقوم به. واضح؟ لذلك دعني وحدي؛ أريد قراءة كتابي في سلام».

أدرك فجأةً. ما الذي كنت أفكر فيه؟ كيف أمكنني أن أغفل عن ذلك؟ أنا أعرف ما هي المشكلة! المشكلة هي: كتابك. إنه هو ما يُشتتكَ، أعني، أنك تستمر بالتحديق والتحديق فيه، أنت مهووسٌ به؛ ولذلك فإنني إذا أخذت الكتاب منك سأحل المشكلة.

أخطفُ الكتاب من يدك، وتحاولُ أنت انتزاعه، لكنني أبعده عن متناولك.

«آه-آه-آه» أقول لك: «سوف تستعيد الكتاب بعد أن تذهب إلى الفيلم معي».

حسناً.

لا يتطلب الأمر عبقريةً لمعرفة ما الذي سيحدث لاحقاً؛ آخر شيء سيحدث هو أن تذهب معي إلى الفيلم. والواقع أنه في الإجازة القادمة إذا رأيتني أقترب منك فسوف تمسك بكتابك، وتركض مبتعداً في الاتجاه الآخر.

## تجربة طفلك

والآن، فإن أهم شيء تفهمه هنا هو أن هذا الموقف الإشكالي لا يحدث؛ لأنني أريد جعل حياتك أكثر صعوبة، على العكس من ذلك؛ فأنا أحاول مساعدتك! نيأتي حسنة، وأنا أوّمن بإخلاص أنه ليس مفيداً لك أن تجلس وحدك طول اليوم، وأنا أسعى لعمل شيء أظن أنه أفضل لك، ولديّ أفضل النيات.

المشكلة هي أنك لست قارئ أفكار؛ ولذلك فأنت لا تعرف أسبابي ونياتي؛ كل ما تعرفه عني أمران:

1. أنا أقف أمام وجهك.

2. أنا أستمر في توجيه الرسالة نفسها مرة تلو الأخرى، وهذه الرسالة هي: توقف عما تقوم به - قم بما أريده.

لنأخذ لحظة الآن، ونرى الأمور من وراء عيني طفلك، فإذا كان طفلك يقع على طيف التوحد، فثمة أمران كبيران يحدثان. (أنا لا أقول إن هذين الأمرين هما فقط ما يحدثان مع طفلك، بل هما من الأمور الكبيرة).

الأول هو أن طفلك يعاني صعوبة في معالجة المدخلات الحسية واستيعابها؛ وهذا يعني أنه يرى الأشياء ويسمعها، ويشمها، ويتذوقها، ويشعر بها بشكل مختلف عني وعنك؛ فعندما يسمع طفلك صوتاً ما - مثلاً - قد يبدو له أعلى أو أخفض، أو ببساطة مختلفاً عما تسمعه أنت.

وأنت إذا ما أخذت لحظة الآن، وأصخت السمع للضجة التي تحدث حولك، فقد تلاحظ بعض الأصوات الصغيرة - سيارات، الريح، المدفأة أو مكيف الهواء، صوت التلفاز أو محادثة في غرفة أخرى، إلخ - وأنت لم تلاحظ كل هذه الأصوات المزعجة إلى الآن، هكذا ينبغي أن تكون الأمور.

يتم قصفُ الأذن البشرية بوابل متواصل من الأصوات النشاز، وإحدى المهمات الكبرى للدماغ هي عزل الأصوات غير الملائمة عن الصوت المهم، كصوت زوجك، صديقك، في أثناء حديثهم. (حسناً، على الأقل نحن نقول إن ذلك الصوت مهم في معظم الأحيان!).

أما مع طفلك فإن جميع هذه الأصوات تأتيه بالشدة نفسها! (الأمور لا تحدث هكذا بالضبط، لكن هذا أفضل تقريب يمكننا الحصول عليه لما يستشعره طفلك)؛ ولذلك عندما تطلب من طفلك أن يوليكَ انتباهه، ويستمع إليك، فما الذي سيستمع إليه فعلاً؟ مَنْ مِنَ الأصوات الخمسة والعشرين ينبغي على طفلك أن يوليهِ انتباهه؟

هذه هي التجربة التي يمر فيها طفلك يوماً بعد يوم، فهل تعرف كيف تشعر بعد قضاء يوم في المطار (متعياً، منهكاً، كأنما تريد أن تهمد حركتك)؟ حسناً، إن طفلك

يستيقظ، ويتناول إفطاره وغداءه وعشاءه، ثم يخلد إلى النوم، وحتى لو تم ذلك في غرفة المعيشة، فإنها تبدو له كالمطار بالنسبة إليك، وهذا هو السبب في الأهمية القصوى لأن تبذل جهداً كبيراً لترى الأمور من خلال عيني طفلك.

قد يكون لديك طفل يرغب أن يخلع ثيابه، ويركض عارياً، قد يدخل البيت، ويمزق جميع ملابسه، وقد تسأل نفسك: لماذا يقوم طفلي بهذا السلوك غير اللائق؟ إنه يعرف أن عليه أن يُبقي ثيابه عليه! والمسألة هي أن طفلك لا يقوم بسلوك سيئ! فملابسه قد تبدو له كورق الزجاج الخشن، وهو يخلعها ليشعر ببعض الراحة!

عندما كنتُ صغيراً كنت أرى، وأسمع الأشياء بطريقةٍ جد مختلفة؛ فقد كنت أبادي صمماً في اختبارات السمع بالرغم من أن الاختبارات كانت تقيس ردود فعل لإرادية من خلال أذني وجدي، وفي الوقت نفسه، كان يمكنني محاكاة أغنية في برنامج تلفزيوني يتم مشاهدته في غرفة بعيدة، وأستطيع أن أتذكر رؤيتي لأشياء بطريقة مختلفة في بعض الأحيان، وقد استمر هذا بضع سنوات من وقت لآخر بعد شفائي؛ فمثلاً، عندما أنظر لوجه شخص - أحياناً - كنت أشعر كما لو أنني أنظر من خلال الجهة المقلوبة لمنظار، وكان الوجه يبدو لي بعيداً كأنه في نفق! أبدو هذا غريباً لك؟ أهلاً بك إذن إلى عالم طفلك.

الأمر المهم الثاني الذي يواجهه طفلك هو في صعوبة التعرف إلى الأنماط، وهذا يعني أن الأمور اليومية التي قد يبدو توقعها يسيراً ومفهوماً بالنسبة إلي وإليك، قد تبدو عشوائية أو مصادفة بالنسبة إلى طفلك؛ ولهذا فإن طفلك يجتهد في أن يصل إلى ما هو مألوف وروتيني!

إذا مشيتُ نحوك، وقلت: «مرحباً»، ومددتُ إليك يدي دون أن أفكر في الأمر، محيياً إياك ومحاولاً مصافحة يدك، فإنك تعرف ما الذي ينبغي القيام به.

ولكن إذا ما قُمتُ بذلك مع طفلك (في معظم الحالات) فإنني مجرد شخص يمدُّ يده فحسب؛ طفلك لا يعرف بالضرورة ما هذا، وما الذي ينبغي القيام به. (ما هو

أسوأ من ذلك هو أن كل شخص يعتقد أنه ينبغي للطفل أن يعرف ما المطلوب، وينزعج عندما لا يحصل ذلك). إن طفلك يعيش في عالم مُربكٍ وصاحب لا يمكن التوقع فيه.

إن أي واحد منا يواجه التحدي السابق سيسعى للتناغم بطرق مماثلة (أقل تطرفاً) لما يسلكه أطفالنا. كل واحد منا قد مر في مواقف وأوضاع، كالوجود في دولة أجنبية، حيث نواجه نسخاً أصغر من هذه التحديات؛ فالناس هناك لا يتحدثون لغتنا، ولديهم تقاليد ثقافية تبدو عسيرة على الفهم، ومع ذلك يُتَوَقَّعُ منك أن تتبعها؛ بل إن إراقة الماء في دورة المياه (المرتبة بشكل غريب) بعد استخدامها قد يبدو تمريناً في فك الشفرة. لماذا لا يكون كل شيء مفهوماً؟! ولماذا لا يدعني الناس وشأني، ويتوقفون عن انتظار أن أتبع قوانين لا أفهمها؟ في هذه المواقف، غالباً، نصبح أقل تفاعلاً مع الآخرين، ونسعى لبناء جدار حولنا، ونسعى كذلك لما هو مألوف، ولنكون مسيطرين. والأمر صحيح أيضاً عندما نبدأ عملاً جديداً، أو ننتقل إلى منطقة جديدة، أو نتزوج من عائلة مختلفة بالكامل عنا.

هذا بالضبط ما يقوم به طفلك، والحقيقة إن طفلك ذكي للغاية ومبدع في كونه قد ابتكر طريقة لمعالجة هذين التحديين في آن واحد: السلوكات النمطية.

كيف تُحَقِّقُ السلوكات النمطية ذلك؟ أولاً هي تتيح لطفلك أن يركز بقصد على أمر واحد بحيث يمكنه بأقصى فاعلية أن يضبط الدفق الحسي الذي يستشعره في كل لحظة من كل يوم. (من المثير أن هذا السبب نفسه يقف وراء سعي بعضهم إلى التأمل).

ثانياً: من خلال القيام بالأمر نفسه مرة وراء مرة يمكنه أن يسيطر؛ إن طفلك - في جوهر الأمر - يُوجد جزيرة يمكن توقع الأشياء فيها في خضم محيط من العشوائية، وكما ترى، فإن طفلك يعالج قضيتين عصبيتين في سلوك واحد؛ إنه يفعل أفضل شيء وأكثره ذكاءً ضمن قدراته لمواجهة ما يحدث. والحقيقة أن طفلك لا يقوم بسلوك غريب؛ بل يسلك بشكل طبيعي إلى أقصى حد في وجه الموقف الغريب الذي يقف أمامه.

أليس ذلك مذهلاً؟

## عودة إلى المقارنة

لنعد إلى مقارنتنا بضع لحظات؛ افترض الآن أنك تجلس في مقعدك في المتزهر، وتقرأ كتابك المفضل لكاتبك المفضل، كما في السابق. وهذه المرة، أقترب، وأجلس في المقعد نفسه، وأبدأ في قراءة كتاب أحضرته معي. ولا أقولك لك شيئاً؛ فأنا مشغول بقراءة كتابي.

بعد قليل ترمقني بنظرة، ثم تلاحظ أمراً مدهشاً. يا للروعة! أنت لا تصدق ذلك، إذ يبدو أنني أقرأ الكتاب نفسه الذي تقرأه أنت! وتحاول أن تعود لقراءة كتابك ولكنك تستمر في التفكير في أنه من غير المعقول أنني أقرأ ليس الكتاب نفسه الذي تقرأه فحسب، بل كتابك المفضل.

بعد أن تكون قد رمقتني للمرة العاشرة، فإنك لا تقوى على المقاومة أكثر؛ عليك أن تسألني على الأقل عنه؛ ولذلك تلمسُ كتفي، وتسألني: لماذا أقرأ هذا الكتاب؟ وهل يعجبني؟ وهل أقرأ كتباً أخرى للمؤلف نفسه؟... إلخ. وأجيبك أنا بحماس وابتهاج، ونخرط سويًا في نقاش عن كتبنا المفضلة ولماذا نحبها.

ثم يحين الوقت بالنسبة إلي أودعك، ثم أنصرف.

في الأسبوع التالي، أنت تجلس في المقعد نفسه تقرأ، ثم أقتربُ منك (مع كتابي)، نقرأ قليلاً، ونتجاذب أطراف الحديث، ثم نفرق ثانية، ويتكرر هذا الحدث في الأسبوع التالي والذي يليه.

ثم، بعد عدد من المرات التي نجلس فيها، ونتحدث في مقعدنا أقولك لك: «هل تدري... في الأسبوع القادم سيصدر فيلم لهذا الكتاب الذي نقرأه، أليس هذا بديعاً؟ اسمع، ما رأيك في أن نلتقي في السينما لنشاهد هذا الفيلم بدلاً من القراءة هنا؟».

هل ترى ما حدث؟ لاحظ أنني في المرتين كلتيهما طلبت منك في النهاية أن تقوم بالأمر نفسه، لكن الطريقة التي تم بها ذلك مختلفة بالكامل؛ في المشهد الأول الأمر

يتمحور حول توقف عما تقوم به، افعل ما أطلبه منك. ليس لدي أي اهتمام في بناء علاقة معك، دع عنك الثقة. في المشهد الثاني قضيت وقتاً طويلاً في بناء علاقة ذات معنى معك قبل أن أطلبَ إليك أي شيء، وفوق ذلك كلانا يقوم ببناء هذه العلاقة حول اهتمام مشترك.

هذا مهم؛ لأنه على الرغم من أن برنامج صن-رايز كان سابقاً لهذه الفكرة فيما يختص بالتوحد، فإنه ليس أمراً جديداً عندما يتعلق الأمر بكيفية يرتبط البشر معاً. إن تشكيل علاقات مبنية على اهتمام مشترك، ممزوجة بالتبادل (شارع في اتجاهين ينطلق من أنا أسير معك في طريقك، ثم تسير أنت في طريقي) كان الطريقة التي بنى بها البشر بها العلاقات لآلاف من السنين.

إن ما قد يبدو غير قابل للتصديق ليس أننا نستطيع استخدام هذا النموذج؛ بل إن ذلك لا يزال موضع جدال مع الأطفال الذين يبدو التحدي الأساسي أمامهم بناء العلاقات! وقد يبدو من البين جداً أن نقول: إنه إذا كان الطفل يعاني اضطراباً اجتماعياً-تواصلياً، فإننا ينبغي أن نستخدم طرق الارتباط وتقنياته وبناء العلاقات مع ذلك الطفل بدلاً من التقنيات والطرق التي تؤدي إلى عكس ذلك.

إضافة إلى ذلك، ثمة أبحاث متزايدة العدد تقترح أنه بالنسبة إلى أطفالنا، فإن السلوكيات النمطية ذات آثار إيجابية في النظام العصبي؛ بما فيها الهدوء، والنظام، والاسترخاء. (انظر الملحق 1).

وما الذي نقوم به عندما يجد أطفالنا شيئاً ليهدئوا أنفسهم، ويعدلوا ذواتهم، ويتناغموا بفاعلية مع بيئتهم؟ أنزلوا أيديكم. لا تقوموا بذلك. ضعوا ذلك جانباً. قوموا بذلك بدلاً منه.

لنكن واضحين، نحن نقوم بذلك لمساعدة أطفالنا. نحن نقوم بذلك لأننا نحب أطفالنا. ولكن من خلال أعينهم، فإن هذا ليس مساعدة، وليس حباً.

في المركز الأمريكي لعلاج التوحد كان لدينا فتاة صغيرة اسمها كيري في البرنامج المكثف لبرنامج صن-رايز (برنامج نقوم فيه بالعمل المباشر مع الطفل، ستمتع المزيد عنه لاحقاً)، وكانت ترفرف بيديها قرب الجهة الخارجية لعينيها وقريباً من صدغيها. (لقد غيّرتُ اسم كيري وأسماء جميع الأطفال في هذا الكتاب)، وكان أهلها الذين يحبونها جداً يحاولون بثبات أن يثبثوها عن الرفرفة. «أنزلي يديك، حبيبتي»، كانوا يقولون، ثم بلطف يقومون بأخذ رسغيها وينزلون يديها إلى جانبيها.

لقد قمنا بتعليم أهل كيري استخدام الانضمام لمساعدتها، ولكن هذا ليس سبب إخباري لكم بذلك عنها، أنا أخبركم به لأنه تبين لاحقاً بعد فحص كيري من قبل طبيب عيون أن العُصيات rods في شبكية كيري كانت مصابة. (لدينا عُصيات ومخاريط cones في شبكياتنا. المخاريط ترى الألوان وما هو أماننا مباشرة، والعُصيات ترى الأسود والأبيض وتميز الرؤية الجانبية وهي تشارك في التصور العميق للأشياء)، ومضى الطبيب ليقول: إن كيري عندما كانت ترفرف بيديها على الحافة الخارجية لمجال رؤيتها إنما كانت تُنشطُ العُصيات في شبكيتها، وبذلك تساعد نفسها على الرؤية بشكل أحسن، وهي تجوب الغرفة، أو تمشي على الرصيف... إلخ، ومن ثم كانت هذه الفتاة الصغيرة تحاول الرؤية فقط وكل من حولها، دون شك يريد مساعدتها بقوله: «أنزلي يديك»، وكانوا يُنزلون يديها عن عينيها.

أما الصبي فنسنت فكان يتمدد على الأرض، ويضع كرة أو وسادة تحت بطنه، ويدور جيئةً وذهاباً ساعات، وكما الحال مع كيري حاول أهله ومعلموه ومعالجوه تشجيعه على عدم القيام بذلك. لاحقاً، قيل لذويه من قبل طبيب: إنه يعاني عسر هضم حاداً كان يتسبب له بألم هائل في بطنه؛ لذلك فإن فنسنت كان يحاول الحصول على قليل من الراحة!

فإذا كان طفلك يقوم بأمر لساعات في نهاية كل يوم، فمن المؤكد أن ثمة هدفاً لما يقوم به، فهو أو هي لا تقوم بسلوكاتها النمطية (أو بأي أمر في الواقع) دون سبب؛ ثمة دائماً سبب وغاية، وإلا فإنها لن تقوم به مرات ومرات.

وهكذا من الصعب رؤية الهدف والفائدة في سلوك طفلنا عندما نحاول أن نزيل هذه السلوكيات. وهذه، في الواقع، فائدة أخرى للانضمام: فهي تتيح لنا - للمرة الأولى غالباً - أن نفتح نافذة إلى عالم طفلنا، إنه يمنحنا الفرصة لرؤية أسباب سلوكيات طفلنا، ويسمح لنا أن نبدأ بالإجابة عن سؤال: لماذا يقوم طفلي بذلك؟ ما الذي تريد أو يريد تحقيقه من وراء ذلك؟

## الخلايا العصبية المرأة

تزايدت دراسات علماء الأعصاب واهتمامهم بالخلايا العصبية المرأة. (يقدم كتاب مرايا في الدماغ Mirrors in the Brain سرداً باكتشافها). وهذه فئة خاصة من الخلايا العصبية (النيورونات أو العصبونات) الموجودة في دماغ كل شخص، وتتعرف هذه الخلايا - من بين أمور أخرى - إلى الناس الآخرين، والتعلم منهم، والتواصل معهم.

وتتعلق هذه الأعصاب في عملها عندما نرى - أو عندما نسمع أحياناً - شخصاً يقوم بعمل أو يمر بتجربة ما؛ مثل ذلك أنه عندما تشاهد مباراة لكرة السلة، ويحرز أحدهم نقطة يبدأ النمط نفسه من الخلايا في أدمغتنا عندها في العمل، كما لو أننا كنا نحن من يقذف تلك الكرة، وما التعاطف الذي تبديه إلا ظاهرة عصبية في حقيقته؛ فالخلايا العصبية المرأة تتيح لنا أن نتخيل أنفسنا في مكان شخص آخر.

عندما ترى على التلفاز شخصاً يُصاب في ركبته، وتحس بالانقباض، تكون تلك الخلايا العصبية قد انطلقت للعمل، وعندما تشاهد شخصاً يرمي كرة، وتتخيل نفسك ترميها، فإن الخلايا العصبية المرأة هي التي تقوم بذلك، وعندما يريك شخصٌ حركة راقصة، وتقوم بأدائها، فإنك تستخدم الخلايا العصبية المرأة، وعندما تبكي خلال مشهد محزن في فيلم، فإنها هي التي سمحت لك أن تتخيل نفسك مكان الشخصية في الفيلم.

ثمة دليل على أن الأطفال والبالغين الذين هم على طيف التوحّد يعانون صعوبة في عمل خلاياهم العصبية المرآة، ومن ثمّ سيجد هو أو هي صعوبة في التعرف إلى الآخرين والاهتمام بهم أو البقاء محفّزاً من خلال الأمور الاجتماعية، أو النظر في عيون الآخرين، أو معرفة ما الذي سيبحثون عنه في المواقف الاجتماعية، أو تقليد الآخرين والتعلم منهم، وهكذا. أبدو ذلك مألوفاً لك؟

احزر؟ إحدى الطرق الأساسية التي تنشط فيها الخلايا العصبية المرآة للعمل في الدماغ النامي يتحقق عندما يتم الانضمام للطفل، وفي الحقيقة فإن الأطفال الرضع يبدؤون فوراً بالاهتمام بالآخرين الذين يقومون بما يقومون به. (يشرح كتاب تقليد الناس Mirroring People هذه الظاهرة بشكل جيد، ويناقش بتفصيل كيف تعمل هذه الخلايا)، ولذلك إذا أردنا أن نساعد على إطلاقها لدى أطفالنا علينا ألا ننظر أبعد من المبدأ الأول في برنامج صن-رايز، حيث يتضح أن مجرد السير البسيط على الجسر الممتد من عالمنا إلى عالم أطفالنا قد يساعد على تنبيه ذلك الجزء المحدد في أدمغتهم الذي يبدو أنه يعاني صعوبة كهذه.

## متى ننضم؟

من المهم جداً أن نعرف متى ننضم؛ لأننا لا ننضم في كل أمر.

## السلوك النمطي ISM

في الحقيقة انضم إلى طفلك عندما يقوم بنوع محدد من السلوكيات: السلوكيات النمطية sms. السلوكيات النمطية فقط.

ما هو ism؟ أبسط طريقة للتفكير في ism هي اعتبارها سلوكات نمطية stim. ويمكنك، دون شك، أن تسأل: لماذا لا نكتفي بدعوتها سلوكاً نمطياً stim، كما يفعل الآخرون؟

من المفيد أكثر بكثير لمساعدة أطفالنا إذا استخدمنا كلمة سهلة التعريف وخالية من التضمينات السلبية أو أي حمولة قد تسبب التشويش لما نقصده؛ ففي النهاية إذا ما انضمامنا فقط خلال isms وقمنا بتعريف isms فسيكون من الجلي بالكامل إلى ماذا سننضم.

وإذا ما كان طفلك يقوم ب ism، فإنه يؤدي سلوكاً يتسم بخصيتين رئيسيتين:

1. أنه سلوك متكرر.

2. أنه استبعادي.

لا أعتقد أن كلمة متكرر بحاجة إلى مزيد من الشرح، لكن كلمة استبعادي بحاجة إلى ذلك. وعندما نقول: استبعادي فنحن نتحدث عن سلوك يقوم من خلاله طفلك باستبعاد الآخرين منه؛ استبعادي تعني أنه عرضٌ يقوم به شخص واحد فقط؛ فطفلك لا ينظر إلى أحد آخر، وهو غير مهتم بمراقبة الآخرين، أو استضافة أحد للمشاركة، أو السماح لأحد بالمشاركة؛ فحسب التعريف يقوم طفلك بأمر حيث يوجد متسع لها فقط، وفي معظم الحالات (وليس كلها) لن يستجيب طفلك في أثناء قيامه بهذا النوع من السلوكات لما تقوله أو تطلبه إليه. يمكنك أن تنادي طفلك أو طفلك باسمه أو تطلب إليه القيام بأمر آخر، ولكنك لن تحصل على استجابة حقيقية.

تخيل الأمر كالاتي: طفلك عضو في ناد صغير، وهو العضو الوحيد فيه، والحل لا يتمثل في هدم ذلك النادي، الحل بدلاً من ذلك هو عمل كل ما يلزم للدخول إليه!

عندما يقوم طفلك بعمل متكرر واستبعادي في الوقت نفسه سندعو ذلك ism. وعندما يقوم طفلك بهذه isms، فإننا ننضم إليه دائماً.

## كيف ننضم...؟

الانضمام ليس معقداً، والجانب التقني للدخول إلى عالم طفلك من خلال الانضمام إليه في سلوكاته النمطية بسيط جداً، ومع ذلك، ثمة جزء أساسي لا يمكن التغاضي عنه؛ فاتجاهك في أثناء انضمامك لطفلك حاسم بشكل مطلق.

والهدف هنا ليس إثبات أنك تستطيع نسخ ما يقوم به طفلك أو محاكاته أو تقليده، فأى شخص يستطيع فعل ذلك؛ الآلة تستطيع فعل ذلك.

لديك دور خاص في حياة طفلك وعالمه؛ فأنت لست أي شخص، ولست آلة أيضاً؛ فأنت تحب طفلك، وتهتم بما يحصل لطفلك، وأنت مستثمر في طفلك.

قد تتساءل أحياناً إذا كانت طفلتك تفهم أنك تحبها - ومقدار حبك لها، الانضمام هو الطريقة التي سوف تعبر بها عن حبك بشكل يمكن لطفلك أن يراها، ويشعر بها، وهذا يعني أن تركز على الشعور بالانضمام، إنك تريد أن تضع كل تركيزك على حبك لها وتقدير عالمها، وهذا لن يساعد على جعل انضمامك ارتباطاً أكثر قوة مع طفلك فحسب؛ بل إنه سيمكنها من أن ترى بأمر عينيها - عندما تتوقف عن سلوكاتها النمطية لتتظر إليك - أنك تحبها.

لا يمكنني أن أشدد أكثر على أهمية هذا الأمر.

كم مرة سألك أشخاص لم يمسهم التوحد: كيف تسير أمور ابنك أو ابنتك؟ وعندما كنت تجيبهم، كنت تشاهد - وعيونهم تلمع متجولة - وتراهم يهزون رؤوسهم غير مرتاحين، وكنت تشعر أنهم لا يعيؤون بجوابك؟ بعد حالات كهذه، فإنك ستتوقف عن إخبار الناس عن طفلك.

إن طفلك ذكي بشكل رائع ويدرك الأمور، إنه يعرف الفرق في قلبه بين (تقليده) بشكل سطحي والانضمام الفعلي إليه، وأنت تعرف الفرق أيضاً؛ ولذلك حان الوقت لجعل الأمور الحقيقية تحدث.

إذا ما أردتَ من طفلك أن يميلَ لمشاركة عالمه معك عليك أن تتطلع بفضول حقاً، وأن تكون مهتماً بعالمه؛ فاسع - بقدر ما يمكنك - لأن تُبهرَ بما تقوم به، لربما تفكر في هذه اللحظة: كيف يمكنني أن أكون مفتوناً برفرفة يدي بشكل متكرر (أو صف المكعبات، أو ذكر عواصم الدول، أو أي شيء آخر)؟

إليك الطريقة: طالما أنك تسأل هذا السؤال فلن تصبح مفتوناً؛ بل لا يمكنك أن تكون مفتوناً أو مهتماً عندما تزدري السلوك، وبالتأكيد لا يمكنك أن تكون مفتوناً وأنت تفكر في طُرُق إنهاء هذا السلوك؛ ولذلك عليك أن تتخلى عن كل ذلك.

ليس عليك أن تتخلى عن الرغبة في أن يتعلم طفلك وينمو؛ ما عليك أن تتخلى عنه هو فكرة أن دفع طفلك لتغيير ما يقوم به هو الطريقة للوصول لذلك. تذكر أن طفلك يقوم بما يقوم به لأن ذلك هو أفضل طريقة يعرفها لمساعدة نفسه، ركز على معرفة ما يحبه طفلك في ذلك السلوك، كن تلميذاً متحمساً في عالم طفلك، تخيل أنك تعمل مع شخص من دولة أخرى، ومهمتك أن تتعلم جميع ما يتصل بثقافة ذلك الشخص.

إذا كان طفلك -مثلاً- يرفرف بيديه، اجلس بجانبه أو بجانبها (أو قف إذا كانت تقف) ورفرف بيديك كأن الغد لن يأتي، ومن المدهل أنه كلما زاد اهتمامك برفرفتك الخاصة زاد اهتمام طفلك بك أنت.

وإذا كان طفلك يقوم بشيء أكثر تعقيداً من مجرد الرفرفة، كصنع برج معقد بالمكعبات، أو يتنقل من لعبة إلى أخرى، أو يردد عبارات من فيلم، أو يلعب مع الدمى بطريقة منمقة ولكن متكررة، فإنه ما زال يترتب عليك أن تنضم إليه بالطريقة نفسها. انظر إلى ما يقوم به طفلك، اندهش وكن مفتوناً، ثم غصّ، وقم بالنشاط نفسه بأفضل ما يمكنك.

ملاحظة: إذا ما اختلس طفلك نظرة إليك في أثناء انضمامك له فابتسم له، واشكره بإيجاز، ولكن عدّ مباشرة إلى الانضمام إليه.

## ما لا يجب أن تقوم به

### 1. لا تقم بالتحديق في طفلك.

عندما تبدأ في الانضمام لا تقم بالتحديق في طفلك أو النظر إليها كل ثانيتين، انشغل بما تقوم به حقاً. تذكر، أنت لا تحاول إثبات قدرتك على التقليد؛ أنت منشغل بالنشاط الذي يحبه طفلك.

### 2. لا تكن ملاصقاً لوجه طفلك

هذا جزء من السبب الذي جعل طفلك يسلك سلوكاً نمطياً في المقام الأول؛ أن يستبعد كل شخص أمامه! عليك أن تمنح طفلك حيزه الخاص. إذا كان طفلك يجلس على الأرض، فقم بما يلزم لتجلس أنت أيضاً، ولكن لا تجلس على بعد إنش من مكان جلوسه. وإذا كان يقف أو يمشي، فقف أو امش، ولكن ليس على إثره مباشرة.

### 3. لا تأخذ أغراض طفلك

إذا كان طفلك يرتب سيارات خضراء صغيرة، فأياً كان ما تقوم به، لا تأخذ سياراته الخضراء وتبدأ بترتيبها. نعم، هذا صحيح، عليك أن تعتاد على استخدام ما تركه هو، وإذا كان طفلك يحب استخدام سيارات خضراء لماعة ولم يعد مهتماً بالسيارات الصفراء القديمة شبه المكسرة، فإن هذه السيارات الصفراء هي كل ما تملكه يا عزيزي! استخدم النوع نفسه من الأشياء التي يستخدمها طفلك، ولكن ليس القطع التي يستخدمها هو.

### 4. الأكثر أهمية: لا تحاول تغيير سلوك طفلك بأي شكل

هذا أكبر خطأ يرتكبه الناس، وهو الخطأ الأكثر ضرراً بعملية الانضمام: طفلك ذكي؛ فإذا استخدمت الانضمام طريقة لجعل طفلك يتغير، أو يبدل أو يوقف سلوكه، فإنه سيرى ذلك على الفور، وبذلك تكون قد حكمت على الانضمام بالفشل، وهذا

يعني ألا تقول مثلاً: «مرحباً يا حلوتي، انظري إليّ». كذلك لا تطلب من طفلك أن يأخذ سيارته ليسابق سيارتك، لا تقم بأي حيل أو حركات لجذب انتباهه.

تستحق النقطة السابقة مزيداً من النقاش؛ أنا أفهم أنك -مثلاً- تود أن تسأل: «أظن أنك قلت إن الانضمام سيؤدي إلى جعل طفلي أكثر اهتماماً بي وبالأخرين، وأكثر نظراً وتفاعلاً، وأقل سلوكيات نمطية؛ فلماذا تقول الآن: ألا أستخدم الانضمام لمحاولة تغيير ما يقوم به؟».

سؤال مشروع تماماً. والجواب هو أن نتائج الانضمام ينبغي أن تؤدي إلى تفاعل ينطلق من الطفل (وهو ما سيستبدل السلوكيات النمطية في النهاية). إن واحدة من الخصائص المميزة الأساسية للتوحد هي في نقص التفاعل الاجتماعي المنطلق والمرغوب من الطفل نفسه.

إن ما يجعل من برنامج صن-رايز فريداً هو أنه يركز على تطوير القدرة داخل كل طفل على أن يبدأ التفاعل الاجتماعي. نريد أن ندخل إلى عالم طفلك أو طفلاتك وانتظارها لتبدأ بالتفاعل بشكل طوعي، ومن ثم - وعندها فقط- نستخدم ذلك التفاعل لدعوتها للامتداد قليلاً والتواصل أكثر.

نريد أن يكون أطفالنا إلى جانبنا، والطريق الوحيدة لتحقيق ذلك هي بالانضمام إليهم في عالمهم إلى أن ينضموا إلينا في عالمنا؛ وهذا ببساطة لا يتحقق بالإكراه وإجبارهم على ذلك.

الانضمام الصحيح يعني الانضمام إلى أن يتوقف طفلك عن السلوكيات النمطية بإرادتها أو بإرادته الخاصة، وينظر إليك أو يقترب منك بطريقة ما. وهو لا يعني أن تخصص خمس عشرة دقيقة لانضمامك، ثم على طفلك أن يقوم بما تقوله له، فطول الانضمام يحدده طفلك، وليس أنت. هذا هو المفتاح.

من المثير أن نعلم أن بعض الطرق العلاجية للتوحد سعت، في السنوات الأخيرة لتبني جوانب من برنامج صن-رايز من خلال القيام بما يظنونه انضماماً بوصفه طريقة

لإيجاد التفاعل، والمشكلة هي أن هذه الطرق تنتهي إلى إغفال الأمر الجوهري؛ لأنها تحاول أن تبني الانضمام واعتماده دون أن تفهمه. (من باب المفارقة أنهم يحاولون تقليد أو محاكاة أمر دون فهمه، وهو الخطأ نفسه الذي نرتكبه عندما نسعى فقط إلى تقليد أطفالنا أو محاكاتهم). لقد شاهدت برامج يتم فيها الانضمام لأطفال مدة من الزمن، يتم تحديدها من قبل المعالج؛ وإذ تمر الدقائق، يسعى المعالج لتوجيه الطفل إلى نشاط أكثر تفاعلية. (بالمناسبة، هذا هو أفضل ما يمكن أن يحدث، وفي كثير من الطرق العلاجية لم تبذل محاولة أبداً للمشاركة في عالم الطفل).

وهنا بالضبط يتجلى الفهم الحقيقي للانضمام (وللتوحد) ويظهر أثره الفاعل؛ فالانضمام ليس خدعة نستخدمها لنسرق طفلنا إلى نشاط أو سلوك آخر؛ الانضمام هو الطريقة التي يمكن من خلالها طفلنا أن ينشئ ترابطاً معنا. وفيه نجد أن الأطفال يصبحون أكثر اهتماماً بنا، وأكثر نظراً إلينا، وأقل سلوكيات نمطية عندما ننضم إليهم؛ لكن هؤلاء الأطفال يقومون بذلك بمحض اختيارهم- وعندما يبدوون هم بذلك، وبعد أن يرتبط أطفالنا بنا، ويثقون فينا، ويشعرون بالأمان معنا- الأمر الذي يظهره لنا من بدء تفاعلهم- بعدها فقط يمكننا أن نتحداهم للقيام بأمر جديدة وتعلمها، وهو بالضبط ما سيعالجه الفصل التالي.

### قصة ريجي

منذ زمن مضى أتى إلى برنامجنا التمهيدي أبٌ طالباً مساعدة ابنه ريجي. تذكرنا أن البرنامج التمهيدي هو مقرر مدة خمسة أيام يتعلم فيه الآباء والأمهات والمهنيون أساسيات استخدام برنامج صن-رايز مع أطفالهم، ويحضر الآباء، مثل والد ريجي، دون أطفالهم.

وهم يتعلمون إستراتيجيات لزيادة اللغة والاتصال البصري والتفاعل، واكتساب مهارات جديدة، ويتعلمون كيف يتعاملون مع التحديات السلوكية لأطفالهم ومن ثم تقليلها. ويُعلمون كيف يعدون بيئة تعليمية وحسية ملائمة، وكيف يستهضون أطفالهم

بإبداع، وكيف يدرّبون آخرين على العمل مع أطفالهم، ودون شك، كيف يُبقون على اتجاه يتسم بالأمل والتفاؤل بالنسبة إلى أطفالهم. والمقرر شديد التفاعلية، فيه الكثير من الأنشطة والفيديوهات، وجلسات سؤال وجواب، وجلسات لتحليل (الأداء العالي) لآباء وأمهات لديهم أطفال بمتلازمة أسبرجر وأعراض مماثلة.

ومن الأمور الأولى التي نقوم بها في البرنامج التمهيدي تعليم الأهل الانضمام. وعندما بدأنا بذلك مع والد ريجي كان شديد التشكك، وقد بين أن طفله يلعب بقطع الليغو LEGO لساعات وساعات في الجلسة الواحدة، لكن ريجي لا يلعب بالليغو كالأطفال الطبيعيين عصبياً؛ فكل يوم يقوم ريجي بالأمر نفسه تماماً؛ فتراه يمسك بصندوق الليغو، ويتناول القطع نفسها، ويبني الشيء نفسه - مجسم على شكل حرف L. ثم يقوم ببناء مجسم آخر ليصبح معه اثنان. ثم يأخذ هذين المجسمين، ويحملهما قرييين من بعضهما بحيث يبدوان كأنهما مربع، ويمشي في الغرفة حاملاً هذا المربع إلى الضوء وإلى النافذة مقرباً أحدهما من الآخر بسرعة ثم مبعداً إياه.

وقد بين لنا والد ريجي أنه لم يستطع أن يتخيل نفسه ينضم إلى طفله في هذا النشاط. وبوصفنا أساتذة فقد وجدنا أن أفضل الطرق لمساعدة الناس هي السعي أولاً لفهم من أين تأتي أفكارهم، وما لا نقوم به هو أن نبدأ جدلاً معهم بينما هم يصارعون مع فكرة استخدام تقنيات برنامج صن-رايز. وبسعينا لفهمهم نكون أفضل استعداداً لمساعدتهم.

ولذلك بدأنا بسؤال الوالد بعض الأسئلة: لماذا لا يمكنك تخيل نفسك تنضم لطفلك في الليغو؟ فأجاب بأنه لا يستطيع فعلاً احتمال مشاهدة طفله وهو يسلك ذلك السلوك. وسألناه ثانية عن السبب؛ فأجاب هذه المرة بانفعال كبير: بأنه في كل مرة شاهد ابنه يلعب بالليغو، كان يرى إلى أي درجة بدأ ابنه (متوحداً)، وهذا ما وفر تذكرياً دائماً له بأن ابنه كان مختلفاً، ولم يكن مرتاحاً أبداً لفكرة أن ابنه مختلف، وفوق ذلك، فقد تساءل عما إذا كان الأمر خطأً. لقد رأى في توحد ابنه عدواً، وأقسم إنه لن يكون صديقاً للعدو.

وسألناه عما يقصده عندما قال إن توحد ابنه كان العدو، وهذا ما أدى لنقاش قوي وعميق من المجموعة كلها. ومن إحدى النتائج المهمة التي توصل إليها والد ريجي في ذلك اليوم أنه عندما يُعدّ توحد ابنه بمثابة العدو فإنه يُعدّ جزءاً من ابنه بمثابة العدو، وخصّص إلى أنه يريد أن يحب، وأن يعانق كل ما هو عليه ابنه؛ بما في ذلك الجزء

المتوحد. والطريقة الحاسمة التي مكنته من ذلك تمثلت في انضمامه لطفله. (هذا التحول بالذات مكون محوري في الرحلة التي يختبرها الأهل في برنامج صن-رايز).

ولدى انتهاء الأسبوع عاد والد ريجي إلى منزله متلهفًا ليرى ابنه من منظار جديد. عليكم أن تفهموا أن والد ريجي عندما كان يرى ابنه يلعب بالليغو سابقًا كان يحاول إيقافه، كان يرفض، ويأخذ الليغو بعيدًا، ويحاول أن يجعل ابنه يقوم بأمر آخر.

كذلك عليكم أن تفهموا الآتي: لم يكن ريجي ينظر لأبيه أو يشعر به بأي طريقة.

لم يحاول والد ريجي أبدًا أن ينضم في السابق، لكنه وافق على الالتزام كليًا بالانضمام لابنه لأسابيع قليلة، ثم يرى ما سيحدث. في الصباح التالي استل ريجي صندوق الليغو قبل أي شيء ودون أن يشعر بأبيه. وبعض القطع ركب ريجي المجسمين على شكل حرف L. وكما اعتاد أن يفعل بدأ في التجول داخل الغرفة حاملًا المجسمين إلى الضوء، مقربًا إياهما هنيهة ثم مباعداً بينهما.

هذه المرة كان الأب مختلفًا، فقد قام بصنع مجسمين على شكل حرف L وبدأ يمشي داخل الغرفة، مقربًا المجسمين معًا ثم مباعداً بينهما، وبين الفينة والأخرى كان ينظر لابنه، ويدرس حقًا ماذا كان يفعل ليصل إلى فهمه بشكل صحيح.

وبينما هو يقوم بذلك أدرك أمرًا، لقد كان يظن أن ابنه يقوم بالنظر من خلال المربع الذي صنعه من المجسمين، وقد كان مخطئًا في ظنه ذلك. والحقيقة أن ريجي كان ينظر بشكل جانبي إلى سطح كل مجسم، وعندما قام الأب بالأمر نفسه لاحظ أنه عندما يحمل المجسمين في الضوء كان يرى انعكاس وجهه على قطع الليغو نفسها، وعندما يباعد بين المجسمين ثم يقربهما ثانية، فإن صورة وجهه تصبح (أكثر سمنة) ثم أكثر (نحافة)، كما لو أنه ينظر لنفسه في مرآة الكرنفال.

مرحي! طار الأب من النشوة! لقد فهم أخيرًا ما الذي يقوم به طفله، وكان ذلك ظريفًا بكل معنى الكلمة! وووو-هوووو! اختلس نظرة إلى ابنه الذي كان قد رمى الليغو من يده محملًا بذهول في أبيه، عاود الأب النظر لابنه غير مصدق، ابتسم الأب لابنه مستمتعًا باللحظة. رد ريجي على الابتسامة بمثلها. ثم بإلهام، لوح لابنه بيده. ولوح ريجي بيده لأبيه!

تشارك هذان الشخصان، الأب وابنه، هذه اللحظة الجميلة، ناظرًا أحدهما إلى الآخر، مبتسمًا للآخر، وملوحًا للآخر. لقد كانت لحظة لا تضاهيها لحظة تشاركها

قبل ذلك. لقد كانت أول مرة يشعر ريجي فيها بأبيه مبدئياً اهتمامه به، لكنها لم تكن الأخيرة.

ابتدأ والد ريجي بالانضمام لابنه بحماس في كل يوم. أخيراً صار لديه طريقة ليكون مع ابنه!

قبل ذلك اليوم الأول للانضمام كان ريجي يسلك سلوكاً نمطياً مع الليغومدة قد تصل إلى خمس ساعات في اليوم. وبعد أسابيع عدة تضاءلت تلك السلوكات النمطية إلى أقل من ساعة في اليوم، وبالطبع فقد أُستبدل معظم الفارق في الوقت بأن صار ريجي يقوم بأمور أكثر تفاعلاً بكثير مع أبيه ومع الآخرين.

تُظهر هذه القصة كثيراً من الجوانب عن نجاح طريقة الانضمام، من منحنا نافذة لما يجعل أطفالنا يقومون بما يقومون به إلى خلق رابطة قوية معهم. لكنها تُبرزُ أمراً آخر، عندما تنضم سوف تحقق أكبر اكتشاف مذهل: بصورة لا يمكن تجنبها، الانضمام سوف يغيرك أنت أيضاً. ومن النادر، بالفعل، أن ترتبط مع طفلك بهذه الطريقة العميقة، الطوعية المُشرفة من دون أن تغير الطريقة التي ترى بها طفلك وجمال عالمه الفريد.

عندما تنضم إلى طفلك بالكامل، سوف تشعر بقرب يفوق أي قرب في السابق، ومن العسير حقاً الحُكْمُ أو الشعور بالخوف من سلوك طفلك حالما تنضم إليه فعلاً، وسوف ينشأ لديك إحساس حقيقي بالمودة تجاه طفلك. فهم أعمق لتجربته، وبهجة في عالمه. ولن يستطيع أحد أن يأخذ هذه التجربة منك أبداً.

## جيمس قبل النوم

هل تذكرون جيمس، ابن صديقتي السابقة شارلوت؟ حسناً، ذات ليلة منذ سنين خَلَّتْ رأيت الدموع في عيني شارلوت بعد أن وَصَعَتْهُ في سريرهِ، وغادرت الغرفة، فسألتها ما خَطْبُكَ؟ فأجابت إنه لا يوجد ما يُقْلِقُ- بل على العكس تماماً، ثم بكت، وابتسمت، وأخبرتني بقصة استثنائية.

كان جيمس متفاعلاً بشكل كبير طوال اليوم؛ ولذلك عندما ذهبت شارلوت لوضعه في السرير كانت تفكر في قراءة قصة له قبل النوم، وكان هذا أمراً تتطلع له بوصفها أمماً

أن تقرأ له هي القصة، ويقوم هو بالإنصات لها مستمتعاً بها، ولكن في كل مرة حاولت فيها هذا الأمر سابقاً لم يكن جيمس يبدي اهتماماً. ولأنه كان شديد التفاعل ذلك اليوم، فقد شعرت شارلوت أن تلك الليلة ربما كانت الليلة التي سيتحقق فيها ما أرادت.

ولكن عندما دخلت الغرفة رأت أنه يجلس في سريره، وينقر بأصابعه على كتاب في يده، عندها عرفت شارلوت أن هذه إحدى سلوكاته النمطية، لكن قلبها كان معلقاً بقراءة القصة له؛ ولذلك قاطعته قائلة: «حبيبي جيمس، سوف أقرأ لك قصة ما قبل النوم!».

تجاهلها، واستمر ينقر بأصابعه.

«يا بني، لنضع هذا الكتاب جانباً. حان الوقت لقصة لمرحة!».

تجاهلها، واستمر ينقر بأصابعه.

ثم تكشف لها الأمر (كمن أصيب بضربة مقلية في رأسه كما أخبرتني). كانت مهمة بأن تقرأ لابنها قصة ما قبل النوم أكثر من اهتمامها بأن تترايط معه بالانضمام إليه في سلوكاته النمطية، وكانت تعرف كيف تتضمن إليه، لكن تركيزها كان منصباً على قراءة القصة، بحيث غفلت عن جميع الإشارات التي كان يرسلها لها.

وعندما تنبهت لذلك أحجمت على الفور عن الطلب إليه للتوقف، كانت قد أمضت معه يوماً رائعاً، وكانت تحبه، وقد رغبت في أن تنقل ذلك إليه، أرادت أن تريه أنها تقبله تماماً كما هو.

ولذلك أخذت كتاباً لها، وجلست، وابتدأت بالنقر على كتابها.

وبعد أن قامت بذلك بعض الوقت نهضت، وأخذت تمشي ببطء خارجة من غرفة جيمس ليتمكن أن يخلد إلى النوم. وبينما كانت تغادر، وضع الكتاب جانباً، ونظر إليها وقال: «أنا أحبك!».

وكانت هذه أول مرة يقول لها هذه الكلمات.

## استثناءات للانضمام

هناك حالات قليلة جداً من السلوكيات النمطية لا تريد أن تتضمن لطفك فيها، ومعظمها سيكون جلياً بذاته بالنسبة إليك، وواحد منها قد لا يكون كذلك.

أولاً: إذا كان طفلك يقوم بأمر خطير، أو يهدد سلامته (كاللعب بين السيارات، أو فتح باب السيارة في أثناء حركتها، أو اللعب بأداة حادة، أو الوقوف على حافة عالية)؛ فعليك أن توقّف طفلك على الفور، السلامة تأتي أولاً دائماً، لا تتضمن إليه في أي أمر خطير.

ثانياً: إذا كان طفلك يلعب بأعضائه (الخاصة) أو ينكش أنفه، فإن من البين أننا لن ننضم إليه في هذا أيضاً، من المهم أيضاً أن تعرف أن هذا لا يعني أن تشعر بالانزعاج، وتجبر طفلك على التوقف. فهذا السلوك طبيعي، لكنه أمر قد لا ترغب في الانضمام معه فيه. (كما قلت، نقاط جلية جداً).

ثالثاً: (غير جلية)، أنت لا تريد الانضمام إذا كان طفلك يشاهد التلفاز (أو الفيديو)؛ فأنت لا تستطيع أن تتضمن في مشاهدة التلفاز، وكل ما يمكنك عمله أن تجلس هناك، وهو ليس انضماماً في هذا النشاط، فهي مشاهدة؛ ولذلك عندما يتعلق الأمر بالتلفاز بمقدورك إما ألا تتضمن- أو من الأفضل- إغلاق التلفاز والانضمام في نشاط آخر يؤديه طفلك.

## وقت النشاط!

سيكون هذا سهلاً جداً. انظر إلى الجدول 1. كل ما ستقوم به هو أن تجد خمسة سلوكيات نمطية يقوم بها طفلك لم تتضمن إليه فيها سابقاً، وتريد الانضمام إليه فيها الآن.

لا ينبغي عليك أن تملأ السلوكيات النمطية الخمسة في جلسة واحدة، خذ وقتك، يمكنك أن تملأ الأول منها أو اثنين يخطران ببالك، ثم عد إلى الجدول في اليوم التالي عندما تلاحظ سلوكاً نمطياً جديداً.

إن ما هو مهم جداً أن تفتح عينيك جيداً على السلوكيات النمطية- ثم تنضم للطفل بحسب الطريقة التي ناقشناها بالضبط.

السلوكيات النمطية	كيف تمت استجابتك	ما الذي ستقوم به عندما تنضم
(1)		
(2)		
(3)		
(4)		
(5)		

الجدول 1

## مصادر على الإنترنت

في نهاية كل فصل سيوجهك قسم (مصادر على الإنترنت) إلى قسم خاص في موقعي Website على الشبكة العنكبوتية العالمية (الويب) معد بشكل خاص بما يتلاءم وذلك الفصل. وهناك ستجد عدداً من المصادر المصممة لمساعدتك على أن تفهم بعمق أكبر، وتقوم بتنفيذ مبادئ ذلك الفصل وتقنياته، كالفديو، وعروض الويب web-casts، والصور والمقالات.

أريد أن أنصحك بشدة أن تستخدم هذه المصادر. وجميعها مجانية- وقابلة للاستخدام عدداً من المرات التي تريدها، وبالوتيرة التي ترغبها.

لهذا الفصل يرجى زيارة واستمتع:

<http://www.autismbreakthrough.com/chapter2>

## نقطة البداية

عندما يسلك طفلك سلوكاً نمطياً انضم إليه فيما يقوم به، قم بذلك بابتهاج! انهمك فعلاً في ذلك النشاط. تذكر أن تمنح طفلك حيزاً كافياً، واجعل نفسك في موقع يمكنه أن يخطف نظرة إليك.